ثانياً : الإختيار للزواج

ما الذي يجذب الرجل إلى المرأة او العكس

أ ـ الاختيار الأسري (الاجتماعي) :

هناك اختيارين أساسيين في الزواج : الاختيار الفردي أو النفسي والاختيار الأسري أو الاجتماعي . ونبدأ بالحديث عن الأسس الاجتماعية للاختيار الزواجي من حيث هي الأقدم والأقرب إلى الزواج نفسه كنظام اجتماعي . وقد سبق أن قلنا أن الزوج عندما يقترن بزوجته فإن كلا من أسرة الزوج وأسرة الزوجة يقترنان أو يرتبطان بالمصاهرة ، وهي علاقة دم إضافة إلى علاقة المصالح والارتباطات الأخرى . ويترتب على هذا الاقتران بين الأسرتين نتائج اقتصادية واجتماعية وسياسية في المجتمع المحلي من حيث أبنية القوة والمكانة والثروة .

ويهمنا أن نوضح أن نمط الاختيار الزواجي الأسري أو الاجتماعي كان هو النمط السائد في العصور القديمة والوسيطة وحتى في العصر الحديث فإنه النمط السائد في البيئات غير الصناعية في المجتمعات النامية . وليس ذلك فقط ففي بعض هذه البيئات لا يتزوج الفرد لنفسه فقط ولكن لأسرته وبحساباتها ومكانتها . وهذا يعني أن زواج أحد أعضاء الأسرة مشروع « أسري » عائلي وليس مشروعًا « فرديًا » « خاصًا » .

وكان يساعد على هذا الوضع أن مكانة الفرد كانت من مكانة الأسرة، فهي مكانة موروثة وليست مكتسبة كما هي الآن في كثير من الحالات، فإذا كانت الأسرة هي التي تكسب الفرد مكانته فمن حقها أن تختار له زوجته أو زوجها، ولأن هذه الأسرة الصغيرة هي جزء من الأسرة الكبيرة أو الممتدة فلابد وأن تختار الزوجة بمعايير ومقاييس الأسرة الكبيرة، وكذلك يختار الزوج بمعايير مماثلة عند أسرة الزوجة. وعلى ذلك فإن الأسرة الكبيرة في هذا الحال لها حساباتها الخاصة عندما تتقدم وتخطب لأحد شبابها فتاة من أسرة أخرى، وكذلك فإن قبول أسرة الفتاة يتم طبقًا لحساباتها الخاصة أيضًا، إذن فهو زواج «مرتب» وله حساباته الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. وقد يحدث في بعض الحالات أن يفصح الشاب عن رغبته في الزواج بفتاة معينة أو قد يبدي رأيه فيمن اختارته أسرته كزوجة له، ولكن يظل قرار الاختيار في يد الأسرة.

Scanned by CamScanner

ب ـ الاختيار الفردى (النفسى) :

من أهداف هذا الفصل أن نوضح أن العلاقة بين الزوجين قد لا تكون على ما يرام، وذلك بسبب سوء الاختيار واختلاف شخصياتهما وأساليب تفكيرهما ونظرتهما المتباينة إلى الأمور مما يجعل الشقاق يدب بينهما ويحيل حياتهما إلى سلسلة من المتاعب والمشكلات، وينتهى الأمر إما إلى الطلاق أو الاستسلام لحياة تعيسة بغيضة. وحديثنا عن الاختيار للزواج في الماضى كان اختياراً اجتماعيًّا من جانب أسرة الفرد المقبل على الزواج هو حديث بصفة عامة على المستوى العام. وقد حدث تحول ثقافى واجتماعى في معظم أنحاء العالم سمح بظهور الاختيار الفردى أو النفسى، الذى يختار فيه الشخص المقبل على الزواج شريكه بمقاييسه ورغباته وإرادته. وينبغى أن يكون واضحًا لدينا أن ظهور هذا النمط من الاختيار لا يلغى النمط الأول ، وهو النمط الاجتماعى، بل إنه يظل سائدًا فى كثير من البيئات خاصة في مجتمعاتنا كما قلنا.

وحتى إذا كان الاختيار فرديًّا سيكولوجيًّا، فهو لا يمكن أن يغفل الاعتبارات الاجتماعية والثقافية فى البيئة، ولا حتى رغبات الأهل وتوجيهاتهم ومقتضيات المنصب والمكانة الاجتماعية. فهذه العوامل الاجتماعية والثقافية والبيئية تكون عوامل هامة حتى والفرد «يختار» لنفسه شريك حياته، وذلك لأن الزواج إذا كان يشبع حاجات فردية عند الزوج والزوجة فإن الزواج نفسه نظامًا اجتماعيًّا ثقافيًّا اختص به الإنسان بين سائر المخلوقات ، فالزواج نظام اجتماعى يخضع لما تخضع له النظم الاجتماعية الأخرى، وينال صاحبه من قبول وتأييد أو معارضة ورفض بقدر ما يتعامل مع النظام على أساس الأسلوب والطريقة التى حددها المجتمع. والزواج نظام يحقق أهداف اجتماعية وثقافية واقتصادية وتربوية بجانب الأهداف الخاصة أو الشخصية.

Scanned by CamScanner

ثالثاً : التوافق الزواجي

التوافق (Adjustment) مفهوم يشير في أصله إلى وجود علاقة منسجمة مع البيئة تتضمن القدرة على إشباع معظم حاجات الفرد وتلبية المطالب البيولوجية والاجتماعية، والتي يكون الفرد مطالبًا بتلبيتها، وعلى ذلك فالتوافق يشمل كل التباينات والتغيرات في السلوك والتي تكون ضرورية ، حتى يتم الإشباع في إطار العلاقة المنسجمة مع البيئة (Wolman , 1973 , 9) .

وتميز كثير من الكتابات السيكولوجية بين مستويين من التوافق، التوافق على المستوى الشخصي، والتوافق على المستوى الاجتماعي، والمستوى الأول ضروري لتحقيق المستوى الثاني. فالتوافق الشخصي Personal Adjustment يشير إلى التوازن بين الوظائف المختلفة للشخصية، مما يترتب عليه أن تقوم الأجهزة النفسية بوظائفها بدون صراعات شديدة. والتوافق الاجتماعي Social Adjustment يعني أن ينشئ الفرد علاقة منسجمة مع البيئة التي يعيش فيها كما يقول «وولمان» Wolman في تعريفه السابق ،

Scanned by CamScanner

وكما ذكرنا فإن تحقيق الانسجام الداخلي في الشخصية شرط لتحقيق الانسجام مع البيئة الخارجية.

والتوافق الزواجي Marital Adjustment من نمط التوافقات الاجتماعية التي يهدف من خلالها الفرد أن يقيم علاقات منسجمة مع قرينه في الزواج، والتوافق الزواجي يعني أن كل من الزوج والزوجة يجدان في العلاقة الزواجية ما يشبع حاجاتهما الجسمية والعاطفية والاجتماعية، مما ينتج عنه حالة الرضا عن الزواج أو الرضا الزواجي Marital Satisfaction وهو التعبير أو المصطلح الذي يستخدم أحيانًا كبديل لمصطلح التوافق الزواجي، ولكن مصطلح الرضا الزواجي يشير إلى المحصلة النهائية، أما مصطلح التوافق فيشير إلى المحصلة كما يشير إلى العوامل والأسباب المؤدية إلى تحقيق التوافق أيضًا.

فلكي يتحقق التوافق الزواجي، على كل زوج أن يعمل على تحقيق حاجات وإشباع رغبات الطرف الآخر، وأن يشعره بهذه المشاعر الإيجابية، وبأنه حريص على سعادته وهنائه، وأنه لا يدخر وسعًا في عمل كل ما يشيع البهجة في نفسه، وعمل كل ما يمكن عمله لتستمر مؤسسة الزواج قائمة مؤدية لوظائفها للزوجين وللآخرين والمجتمع.

وعادة ما يكون تحقيق التوافق الزواجي ميسورًا إذا كان كل من الزوج والزوجة يحتفظ بعاطفة إيجابية نحو الآخر، وإذا لم يصادف الزوجان صعوبات شديدة وأزمات حادة في حياتهما تتحدى استقرارهما وبقائهما كزوجين. في هذه الحالة فإن التبادلية Mutuality تعمل عملها لأن كل زوج سيدرك ما يفعله الزوج الآخر في سبيله ومن أجله، وبالتالي فهو يعمل كل ما في وسعه لتحقيق حاجات الطرف الآخر الجسمية والنفسية والاجتماعية، مما يدعم اتجاه الطرف الآخر للسير في نفس الاتجاه، وبدرجة أكبر من الحرص على تحقيق السعادة الزوجية Marital Happiness التي يشعر في ظلها كل منهما بالسكن والمودة والمحبة والرحمة.

فالسعادة الزوجية هنا ليست عملية مصادفة أو عملية عشوائية ولكنها ثمرة سلوك قصدي وعمدي في معظمه يصدر عن كل زوج بهدف إسعاد الزوج الآخر، وبالتالي فهو يتلقى نفس العائد أو التغذية المرتدة ممثلة في حرص الطرف الآخر على عمل كل ما يمكنه في سبيل راحته. والشعور بالسعادة شعور انفعالي داخلي منفصل إلى حد ما عن الانفعال والأساليب السلوكية و «الواجبات» التي يقوم كل من الزوجين تجاه الآخر وتجاه مؤسسة الزواج. فالسعادة شعور يترتب على الأعمال التي يقوم كل منهما بها، وعلى إدراك كل زوج للدوافع والنوايا ، التي تقف وراء سلوك الطرف الآخر وأعماله.

Scanned by CamScanner

رابعاً : مظاهر تضرر النسق الزواجي

لن نتحدث في هذه الفقرة عن مشكلات بعينها يعاني منها الزوجان، ولكننا سنشير إلى نمطين محددين إشارت الدراسات إلى شيوعهما وإلى أنهما إذا أدرج الزوجان في أي منهما فسيكونان عرضة لخبرة المشاكل من كل الأنواع؛ لأن التفاهم قد افتقد، أو أنه يتم على أساس خاطئ ، وبالتالي فالنتائج لا تكون صحيحة بل العكس هو الصحيح، حيث إن هذين النمطين من الزواج من الأنماط التي تولد الأمراض والاضطراب عند الذرية علاوة على المعاناة التي يعيشها الزوجان.

ونعود هنا إلى دراسات «ليدز» Lidz وزملائه والعلماء الآخرين الذين اهتموا ببحوث الأسرة والاضطراب. وقد ظهر من نتائج هذه الدراسات أن هناك نمطين مميزين من العلاقات في الزواج يبرزان بشكل محدد وهما: الانقسام الزواجي Marital Schism والانحراف الزواجي Marital Skew وكل من هذين النمطين يتضمن صورة من الاتصال بين الزوجين مولدة للتعاسة والشقاء، وفيما يلي سنورد نبذة عن كل منهما:

الانقسام الزواجي :

إن مجموعة كبيرة من الآباء التي أصبح أبناؤها فصاميين قد تميزت بغياب التكميل السوي بين الوالدين، وهي الأسر التي لا يظهر فيها أي من الزوج أو الزوجة قدرة على الوفاء بحاجات الآخرين. ويكون التفاعل بين الزوجين متسمًا بتناز واضح وصريح، والذي يحاول فيه كل طرف أن يقهر الطرف الآخر، وأن يخضعه لتوقعاته الشخصية، ولكنه يقابل بعصيان صريح وواضح من الطرف الآخر، مما يؤدي إلى تبادل الاتهامات بشكل مستمر، وكل زوج يجاهد ويسعى وراء حاجاته ورغباته مهملاً حاجات الطرف الآخر ورغباته، مولداً المزيد من الحنق عند الشريك، ويزيد من قدر الشك والارتياب لديه (Lidz , 1957 , 243) .

Scanned by CamScanner

وفي مثل هذا الزواج المنشق أو المنقسم فإن كل شريك يميل إلى أن يقطع الصلة ما بين الشريك الآخر والأطفال وينافسه فى كل ما يتعلق بهم. مثل هذه الزيجات تتميز بالكراهية والشك وعدم الثقة، ويكون فيها كل شريك معبراً عن مخاوفه من أن يشابه الطفل الشريك الآخر. ويحاول كل والد أن يغرس فى طفله قيمه الشخصية أو الخاصة مع علمه بأن هذه القيم تتعارض مع قيم الشريك الآخر.

وفى غياب الدعم والعاطفة بين كل من الزوج والزوجة يتكون ميل لدى كل منهما نحو اتخاذ الطفل كشريك بديل، ويجد الطفل نفسه يلعب دور كبش الفداء، وربما شكّل معهما المثلث المنحرف الذى تحدثنا عنه سابقاً. وهذا الموقف يضع أحمالاً زائدة على كاهل الطفل الذى يجد نفسه يستجيب بواحد من الطرق المحتملة التى منها:

* التوسيع للفجوة الوالدية Parental Gap، ومن هنا يكسب أحد الوالدين في صفه ويتحمل دور المحبوب البديل.

* المحاولة من جانبه أن يسد الفجوة بين والديه بتكريس كل جهده وطاقته، ويتم ذلك على حساب نمو أناه الخاص، أو بتقديم نفسه ككبش فداء، أو لتبديد الغضب الوالدى، أو للتخفيف من خيبة الأمل عند كل منهما نحو الآخر.

* الوقوع فى حالة «اللاحركة» أو عدم القدرة على عمل شىء، والوقوف في موقف الرابطة المستحيلة Irreconcilable bind لأن الحب والولاء فيهما لأحد الوالدين يعنى تلقائياً الرفض من جانب الوالد الآخر، (Lidz , et al 1957).

الانحراف الزواجى :

والنمط العلاقى الآخر المميز للأزواج المتضررين هو الانحراف الزواجى، فقد لاحظ «ليدز» وزملاؤه أن هؤلاء الأزواج يعيشون معًا فى حالة من الانسجام النسبى، وحتى يظهر أن كلاً منهما يشبع حاجات الآخر الانفعالية بطريقة توحى بأن العلاقة الانشقاقية غير موجودة، ولكن الزيجة تشوه بحيث يصبح أحد الزوجين (الزوج المسيطر) مضطربًا على نحو شديد، ويقبل هذا الاضطراب كشىء عادى وسوى من جانب الزوج الآخر. ومن هنا تظهر العلاقات الأسرية كلها وكأنها منظمة حول شخص مركزى مسيطر غالبًا ما يكون الزوجة، والتى يقبل مرضها وانحرافها كما قلنا من جانب الآخرين، وليس الزوج فقط، بل وقد يشاركون فيه.

وفى حال الزوجين من هذا النمط يغطى الزوج ذهان الزوجة وانحراف صحتها ويبرره، كما يبرر سيطرتها على الأسرة، بينما يتنازل هو عن كل المسئولية وهو فى

Scanned by CamScanner

موقف ضعف وعجز، ويتجه إلى المزيد من الضعف وعدم التأثير كلما ازداد مرضها وضوحًا.

والتقرير الآتي من دراسة «ليدز» يوفر لنا مثالاً عن مثل هذا الزواج المنحرف «أن أسرة (س) كانت تحت سيطرة زوجة بارانية بالكامل والتي كانت تدير شئون الأسرة بمفردها تقريبًا. لقد تركها زوجها في مناسبة واحدة غير قادر على تحمل مطالبها، ولكنه عاد قبل أن يولد طفلها الأصغر (وهو الطفل الذي حدداه باعتباره المريض) وبعد ذلك عانى الأب من انهيار عصبي بعدها عاش وعمل في أعمال يدوية حول المنزل وكأجير في أعمال تديرها زوجته.

وكانت الزوجة طموحة جدًا بالنسبة لأبنائها الأربعة ، وتدفعهم إلي النجاح، وتسيطر على حياتهم وتبين لهم بوضوح أنهم لا ينبغي أن يصبحوا فاشلين مثل والدهم. وقد كانت خائفة بشكل مفزع من « الغرباء » معتقدة أن الناس يتصنتون على مكالماتهم الهاتفية ، وأن أفراد أسرتها معرضين بالفعل للخطر. وكان من الواضح أن هناك حالة انشقاق زواجي على الرغم من حالة السلام الظاهرة بين الزوجين. وكانت الأم زائدة الحماية لابنها الأكبر، وهو مقامر ومختلس ، ويستحوذ على كل اهتمام الأم وانتباهها، كما يستولي على معظم دخل الأسرة.

وقد وجد نوع من الصراع ثنائي الوجدان المزمن بين الأم وابنها الأكبر وبين بقية الأبناء حيث استبعدتهم الأم مع الأب، ولما استنجد الأبناء بالأب لم يستطع أن يفعل شيئًا، بل قال لأولاده إن المتاعب في الأسرة وجدت لأنهم ليسوا مطيعين للأم كما يفعل هو» (lidz , 1957 , 243) .

وفي حالات مثل حالة هذه الأم، وجد «ليدز» أن الابن الأكبر على وشك أن ينمي رابطة أو علاقة تكافلية مع الأم قد تؤدي إلى خلط في هويته الجنسية وإلى اهتمامات محارمية وتشابه كبير مع اضطراب الأم. وقد كانت هناك فتاة بين الأخوة، وقد كانت أقل الأبناء تأثرًا بمرض الأم، أو بهذا النمط المنحرف من النسق الزواجي المولد للمرض.

Scanned by CamScanner